
الوحدة الرابعة
علاقة المقاصد بالعلوم

محتويات الوحدة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	**١٥٩**
تمهيد	١٥٩
أهداف الوحدة	١٥٩
١. لمسلّمات التصوّرية	**١٦٢**
١.١ المسلّمات التصوّرية الإسلامية	١٦٢
٢.١ المسلّمات التصوّرية الغربية	١٦٤
٢. تصنيف العلوم	**١٦٦**
١.٢ تصنيف العلوم عند المسلمين	١٦٦
٢.٢ تصنيف العلوم عند االغربين	١٧١
٣. المدا خل الإسلامية المتخصّصة لكلّ علم	**١٧٢**
٤. علاقة المقاصد بالعلوم الأخرى	**١٧٣**
الخلاصة	**١٨٦**
إجابات التدريبات	**١٨٨**
مسرد المصطلحات	**١٨٩**
المصادر والمراجع	**١٩٠**

المقدمة

تمهيد

عزيزي الدارس، مرحبا بك إلى هذه الوحدة الدراسية.

لقد درست الوحدة الثالثة، واستوعبتها بحمد الله بجهدك ومثابرتك، وأمامك الوحدة الرابعة والأخيرة من هذا المقرر، وموضوعها علاقة المقاصد بالعلوم.

سنتحدّث عن مجمل التصوّر الإسلامي، والتصوّر الغربي،والمسلّمات العقدية التي تولّدت عنها المعرفة الإسلامية والمعرفة الغربية، ومن ثّم نناقش تصنيف العلوم والمداخل الإسلامية المقترحة المتخصّصة لكلّ علم من العلوم، وأخيراً نتناول بالبحث والاستقصاء علاقة المقاصد الشرعية بالعلوم.

وأخيراً عزيزي الدارس، ستلاحظ أن هذه الوحدة بها إضافات علمية جديدة ونافعة ومفيدة، نأمل أن تكون عوناً لك في حياتك.

وبالله التوفيق، وهو المستعان

أهداف الوحدة

ينتظر منك **عزيزي الدارس** بعد دراستك لهذه الوحدة، أن تكون قادراً على تحقيق الأهداف الآتية:

- **تتعرّف** على مجمل التصوّر الإسلامي والمسلّمات العقدية،التي تولّدت عنها المعرفة الإسلامية.
- **تتعرّف** علي مجمل التصوّر الغربي والمسلّمات العقدية،التي تولّدت عنها المعرفة الغربية.
- **تصنيف** العلوم والمداخل الإسلامية المقترحة، لكلّ علم من العلوم.
- **تشرح** علاقة المقاصد الشرعية بالعلوم.
- **تقدّر** عظمة الشريعة الإسلامية.

علاقة المقاصد بالعلوم

عزيزى الدارس،

إنّ من المعلوم أنّ العلاقة بين العلوم الشَّرعية والعلوم ليست جديدة مبتدعة، فقد جاءت مصادر الشريعة الإسلامية لهداية الناس، وجاءت العلوم الشرعية – كالفقه والأحكام التكليفية –لتحقيق مصالح النّاس أيضاً، وتدور معها وجوداً وعدماً، ومن هنا كان الارتباط بين الدين والواقع (**عطية ١٩٨٨م**).

وقضية المقاصد وربطها بالعلوم تعتبر – الآن – لدى المهتمين بالتأصيل الإسلامي، ركناً أساساً في العملية المعرفية، حيث تستطيع المقاصد تأسيس المداخل الإسلامية للعلوم، وذلك من خلال تحديد المقاصد الشرعية الخاصّة بكل علم، وكيفية ربطها بالمقاصد العامة للشريعة الإسلامية. وتعتبر المقاصد العالية – وهي صالحة لكل زمان ومكان – المقياس والمعيار، الذي تقاس عليه أنواع الفعل الإنساني، ولجميع الآثار المترتبة عليه، فالفعل الإنساني يمكن أن نوجد له مجموعة من الضوابط والشروط والدعائم والأركان والأدوار، التي بمقتضاها يتّم تقويمه بشكل دقيق، وفقاً للمقاصد العليا وضوابطها، والفعل الإنساني يمكن تقسيمه إلى أقسام عديدة بحسب زوايا النظر إليه،وحسب الآثار المترتّبة عليه، فقد ينقسم من حيث اعتباره إلى فعل معتبر وفعل غير معتبر، بحسب القصد والنية، كما نستطيع أن تقّسمه إلى فعل مؤثّر وفعل غير مؤثّر، بحسب الآثار المترتبة عليه.

كما ينقسم بحسب التأثير إلى فعل دنيوي وأخروي، فالدنيوي هو الذي يقصد منه الإنسان تحقيق مصلحة دنيويةوالأخروي هو الذي يستدعي ثواباً وعقاباً في الآجل، ثم إنّ الفعل الإنساني قد يكون صالحاً، وقد يكون غير صالح، والصلاح ينقسم بمقتضاه الفعل إلى أقسام عدّة وكذلك الفساد (**العلـوانى ٢٠٠٠م**). فالعلاقة بين مقاصد الشارع ومقاصد المكلّفين وطيدة، ولا يمكن تحقيق المصالح الدنيوية والأخروية– في إطار الشريعة–، إلاّ إذا كانت إرادة المكلّفين وحركتهم مقّيدة بمقاصد الشارع.

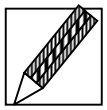
وإنّ ما ينبغي الإشارة إليه، أنّ التّنبه إلى علاقة المقاصد بالعلوم، ومحاولة إفرادها بالدراسة، بدأ حديثاً بكتاب محمد الطاهر بن عاشور " **مقاصد الشريعة**"، وهناك محاولات جمال الدين عطية في توضيح علاقة المقاصد بالاقتصاد **(مجلة قضايا إسلامية العدد الثامن)**، وكذلك

بروفيسور محمد الحسن بريمة **راجع له : الظاهرة القرآنية، مجلة تفكر، ع ١ معهد إسلام المعرفة، ورؤية إسلامية مقاصدية في التنمية الاجتماعية إسلامية المعرفة ع٢٦.)**

ومحاولة فتح الباب عبد الحليم في توضيح علاقة المقاصد بالتربية (**عبد الحليم ١٩٩٥م**). كما كتب سعيد إسماعيل بحثاً عن أهداف المدارس في الإسلام (**إسماعيل ١٩٩٠م**)، وتأسيساً على ذلك فإنّ المراجع في هذا المضمار جدّ نادرة ؛ وذلك لجدّة الموضوع في ذاته.

وإنّ من المفيد –ونحن بصدد مناقشة الموضوع – الحديث عن مجمل التصوُّر الإسلامي والغربي، والمسلّمات العقدية التي تولّدت عنها المعرفة الإسلامية والغربية، ومن ثّم نناقش تصنيف العلوم والمداخل الإسلامية المقترحة للعلوم، ثّم تبيان علاقة المقاصد بالعلوم.

تدريب (١)



ضع دائرة حول الإجابة الصحيحة.

١) المقاصد العالية صالحة :
- للحاضر فقط.
- لكلّ زمان وغير صالحة لكلّ مكان.
- لكل زمان و كل مكان.
- كل ما ذكر أعلاه خطأ.

٢) علاقة المقاصد بالعلوم، وإفرادها بالدراسة بدأت:
- من سنين طويلة.
- حديثاً

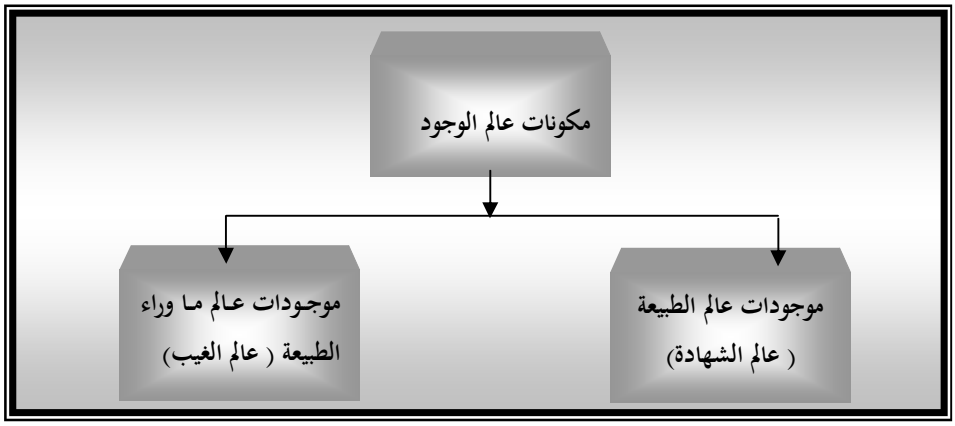
١. المسلمات التصوُّرية

١.١ المسلمات التصوّرية الإسلامية

١- الدين الإسلامي عقيدة وشريعة ؛ فهو عقيدة تضع التصوُّر، وتجيب عن التساؤلات النهائية (**محمد الأمين والشريف ٢٠٠٣م**) المتعلّقة بالإله والإنسان والكون، والتفاعلات الناشئة عن العلاقة بين الإله والإنسان والكون.وهو كذلك شريعة تتبع للعقيدة، وتنبثق من تصوّراتها لتسبغ على الحياة والواقع، فلسفتها الهادفة إلى تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

٢-الإيمان بالله وتوحيده يمثّل المركزية والمرجعية التي تنبثق عنها كافة المفاهيم والتصوّرات، فالله الواحد هو المبدأ والغاية لكلّ موجود، ولكلّ فعل في الوجود، والقرآن بأساليبه الحجاجية المتنوّعة، يؤكّد ويستدلّ على محورية الإله في الوجود، وينفي في ذات الوقت محورية الإنسان أو الطبيعة في الوجود، وإنّ التوحيد وما ينبثق عنه من قيم، ليصبغ الحياة العملية كلها بصبغته، فتتّحد نوازع النفس جميعها مع فطرتها السليمة، فتستقيم تبعاً لذلك حياة الإنسان، وتتضافر قواه وصفاته النفسية لأداء مهمته في الحياة، لأنّها متجهة نحو هدف واحد، وخاضعة لرب واحد. وإنّ حياة الجماعة المؤمنة لتستقيم كلّها على نهج الوحدة، وحدة الشعور ووحدة الولاء ووحدة الغاية، بحيث يصير كلّ نشاط ذهني أو عملي، دائراً في بنيته أو غايته على قانون من الوحدة (**محمد الأمين ١٩٩٩م**).

٣- الوجود يتكّون من عالمين :



- ◎ موجودات عالم الطبيعة التي يسمّيها القرآن عالم الشهادة، وهذه الموجودات يستطيع الإنسان إدراكها بحواسّه.
- ◎ موجودات عالم ما وراء الطبيعة، التي يسميها القرآن عالم الغيب، وهذه الموجودات لا يستطيع الإنسان أن يعرفها إلاّ عن طريق الوحي، وما ذلك إلا لأنّ النظرة العلمية تقتصر على استخراج الصورة الحقيقية للكون وقوانين حوادثه، ولا يستطيع العلم أن يجزم بما وراء ذلك.

٤- عالم الشهادة تسيَّره السنن والنواميس، وهذه السنن والنواميس يتساوى فيها الناس، – مؤمنهم وكافرهم – وهي تعطي كلّ من يوظّفها على قدر سعيه ؛ قال تعالى :﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ **(الإسراء: ٢٠)**

غير أنّ الإيمان بالله، هو الذي يحدَّد مصير الجماعة وحضارتهم، قال تعالى :﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا ﴾ **(طه: ١٢٤)**

وقال أيضا:﴿ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً ۖ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ **(النحل: ٩٧)**

٥- إنّ عبادة الله وحده بالمفهوم الدَّيني الشامل، هي الهدف الذي يجب على الإنسان، أنّ يصعَّد إليه أوجه نشاطاته الحضارية كافة، فهي الغاية التي خلق الإنسان لأجلها، وحيث إنّ للإنسان إرادة، فإنّ كل إرادة لا بدّ لها من مراد تنتهي إليه، فلا بدّ لكلّ عبد من مراد محبوب، هو منتهى حبه وإرادته، فمن لم يكن الله مراده ومنتهى حبه، فلا بدّ أن يكون له مراد محبوب يستعبده من دون الله.

٦- إنّ العبادة في الإسلام تسع الحياة كلّها، وعلى ضوء ذلك، فإنّ أعمال الإنسان كلّها عبادة، إذا قصد بها الإنسان مرضاة الله. وهذا ينعكس إيجاباً على الواقع، بحيث تتضافر مظاهر العبادة بأبعادها الدَّينية والاجتماعية والكونية، إذ تتضافر دينياً من حيث أداء

الشعائر والعبادات، التي تربط الإنسان بخالقه، و تتضافر اجتماعياً من حيث الرّبط بين المسلم والآخر، و تتضافر كونياً من حيث التفاعل بين الإنسان والكون.

٧- مقاصد العلوم تعتبر مصالح، سواء سمّيت منفعة، أو لذة،أو قيمة، أو إشباعاً ،أو غيرها، ولكنها ثمرة لقدرات المكلّف وإرادته، والشريعة بمقاصدها ينبغي أن تكون حاكمة على مقاصد المكلّف وأفعاله، فما من فعل أو حركة في الواقع، إلاّ والشريعة عليه حاكمة، أو هذا ما ينبغي أن يكون عليه الحال.

أسئلة تقويم ذاتى



ضع علامة (✓) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (×) أمام العبارة الخطأ.

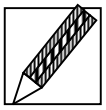
١. يستطيع الإنسان إدراك عالم الشهادة بحواسه ( )

٢. عالم الغيب وعالم الشهادة عالمان مختلفان ( )

٣. الناس لا يتساوون فى السنن والنواميس ( )

٤. مقاصد العلوم – أيا كان نوعها – تعتبر مصلحة ( )

تدريب (٢)



هل يمكن أن يجمع العمل مصلحة دنيوية ومصلحة أخروية؟

٢.١ المسلّمات التصوّرية الغربية

إبعاد الوحي عن العملية المعرفية، والاعتماد على العقل والحس في المعرفة، أدى إلى التعامل مع المحسوس والمشاهد، وتّمت تصفية الوجود الرُّوحي للإنسان وتسويته بالحيوان، وكما تّم تفسير المخلوق البشري دون الخالق، ودون أي غاية سامية، يقول **الفيلسوف الفرنسي** " **البيركامو:** " إنّ كل شئ يكون صحيحاً، وكافة المشاكل العلمية سوف تحلّ، إذا أخرج الإله من خطة هذا الكون ؛ لأّنه مع التمسّك بفكرة الخالق المطلق خارج

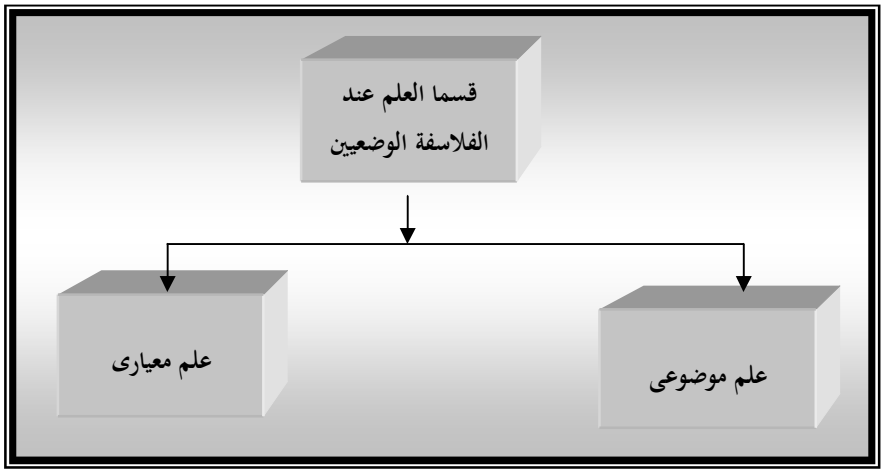
التجربة الإنسانية، ووراء دائرة العقل الإنساني، لا يمكن لأي فكر، أن يقرّ مبدأ الحرية المطلقة للإنسان، أما بعد الجحود بالإله، فيستريح الإنسان من عهدة التكليف، ويبرئ نفسه من ذمة الأخلاق المبنية، على أية قيم دائمة أو مثل ثابتة **(محمد الغزالى : ١٩٩٥م)** ولأجل ذلك تّم تأليه الإنسان، وحينما تأصّلت النزعة التجريبية، تّم تأليه الطبيعة والإعلان عن موت الإله، وكان من نتائج رفض الرؤية الدينية واستبداد الرؤية التجريبية، واستقلالها بالمعرفة، واكتفائها بالوصول إلى الحقيقة، ورفض كلّ أمر لا يستند إلى المشاهدة بالحواس – أّنه لم يتبقَ نتيجة لهذا الموقف أي أساس لقيم أخلاقية ثابتة، وصار كلّ شئ من هذا القبيل نسبياً أو شخصياً أو ذاتياً غير خاضع لأصول محكمة، وضوابط متفّق عليها، ويستند إليها كلّ ما يضبط السلوك الإنساني من قوانين أخلاقية، وانتهى هذا التطّور إلى اعتبار هذا العالم عالماً آلياً، ودون أي اعتراف بحاجة الإنسان إلى الالتزام بمقتضيات هذه الإرادة الإلهية، كما تّم في هذا الإطار الفكري اعتبار الإنسان جزءاً لا يتجزأ من هذا العالم المادي، خاضعاً كغيره من أجزاء العالم الطبيعي إلى قوانين العملية الآلية **(محمد الغزالى: ١٩٩٥م)**، فنقطة الاختلاف بين ما هو إنساني وغير إنساني – من منظور علماني – هو اختلاف في الدرجة لا في النوع، في الكم لا في الكيف، ومن ثّم يمكن تفسير الإنسان – كلّ الإنسان – بما هو غير إنساني، أو من خلال القوانين المادية والطبيعية العامة، التي تسري على كلّ الأشياء وكافة الظواهر **(المسيرى: ١٩٩٤م)**.وهذا ما يمّيز عصر التنوير وما تلاه من عصور، حيث الإيمان العميق بالعالم الطبيعي، على أنه الوحيد الذي يسعد فيه الإنسان.

ب–انعكست تلك المفاهيم على العلوم، فتحّولت المعرفة إلى معرفة بشرية خالصة، ومحصورة في الواقع المحسوس.

ج– استبعدت نتيجة لذلك العوامل الروحية والقيم، من نطاق الدراسات الغربية، وهي قضايا تشكّل جزءاً مهماً من نشاط الإنسان وتفكيره **(محمد الأمين والشريف:٢٠٠٣م)**.

د– إذا كان الفلاسفة الوضعيون، قد قسّموا العلم إلى علم موضوعي وعلم معياري، فإنّ المعيار لم يكن قيماً روحية وأخلاقية، وإّنما كان المعيار معياراً ذاتياً، لا ينفكّ عن قناعات الباحث الشخصية، والبعد الذاتي هو إيمان الباحث الحديث، بأنّ الحالة المثالية في أي مجتمع إنساني، هي الحالة التي وصل إليها المجتمع الغربي عبر قرون، وولاؤه المطلق لكلّ

من يشترك معه في الإيمان بهذه الطريقة المثلى،وهذه الذاتية تؤثّر بصورة فعّالة في نتائج البحث. ومهما يكن من أمر، فإنه لا يمكن لأي مبادرة علمية اكتشافية إنسانية أن تتحرّر عن الذاتية.



أسئلة التقويم الذاتي



١.بين أثر إبعاد الوحي عن العملية المعرفية.
٢.الدين الإسلامي عقيدة وشريعة، وضّح المقصود باختصار.
٣.الوجود يتكّون من عالمين، اذكرهما.

٢. تصنيف العلوم

١.٢ تصنيف العلوم عند المسلمين

بذل علماء الأمة السابقون، أمثال جابر بن حيان، والكندي، والفارابي، وإخوان الصفا، والخوارزمي، وابن حزم، والغزالي، وابن خلدون، والتهانوى، وصديق طاش كبرى زاده مجهودات ضخمة لتصنيف العلوم، دار معظمها على أساس التفرقة الأساسية بين العلوم الدينية والعلوم الدنيوية أو العقلية. وكانت تلك المصنّفات تهتّم بالتعريف، أو التقديم لكلّ علم من العلوم التي يتناولونها. وعلى الرغم من عظم هذه المجهودات، فإن آثارها ونتائجها السيئة، ما زالت تشلّ قدرة العقل المسلم، وتضيّق مساحات الإبداع لديه، وإذا كانت عمارة

الدنيا من مقاصد الشريعة العالية، فإنّ إهمال علوم الدنيا أو التقليل من شأنها، انعكس على هذا المقصد الشرعي، ويظهر هذا جلياً في تخلّف المسلمين التقني، وقعودهم عن المشاركة في تغيير العالم.

إن القرآن الكريم دعا – بسبب رسالية الأمة وموقف الآخر من هذه الرسالية – إلى إعداد القوة ورباط الخيل، ونّبه إلى الحذر الدائم من الآخر، لأنّ موقفه عدائي تجاه الأمة قال تعـــــــالى:﴿ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمۡ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمۡ عَن دِينِكُمۡ إِنِ ٱسۡتَطَـٰعُواْ ﴾ **(البقرة: ٢١٧)**

والحذر هو إعداد القوة المماثلة للآخر على الأقلّ، أو المتفّوقة على الأحسن. وهذه القوة تقوم على تكامل العناصر: السَّياسي والاقتصادي والعلمي والتكنولوجي – وهي تخصصات علمية – فالتكامل هو القوة، والقوة هي المماثلة، فانطلاقاً من الدور الرَّسالي للأمة، والموقف العدائي للآخر، فإنّ القرآن دعا للتحديث، أي تجديد الآليات والتقنيات من أجل المماثلة – أي المعاصرة – لأنّ المماثلة شرط في المواجهة، وعليه تكون المعاصرة – التحديث – واجبة حسب المضمون القرآني(**العمارى**).

تدريب (٣)



ماهي العناصر التي تشكّل القوة، التي حثّ الإسلام علي إعدادها لمواجهة الأعداء؟

يقول **السليماني** " إنّ الدين الحنيف أساسه الوحيد طلب الغلب والفتوحات، والدعوة إلى الحقّ، بحيث إنّ كل إنسان مسلم يجب أن يكون على أتّم استعداد ؛ لأّنه من أمة حربية يتعّن عليها أن تسبق جميع الأمم إلى اختراع الآلات الحربية، وإتقان العلوم العسكرية، والتبّحر في ما يلزمها من الفنون الرياضية كالهندسة، واستخدام الهواء والبخار والكهرباء، وجّر الأثقال وغير ذلك "(**الأعرج ١٩٧١م**).

وللخروج من الغفلة وتحقيق مقاصد الشريعة، يجب الدخول في نظام المعاصرة بتحصيل العلوم التطبيقية واستثمارها، وتحديث التقنيات والعقليات، لأنّ المسالة عند

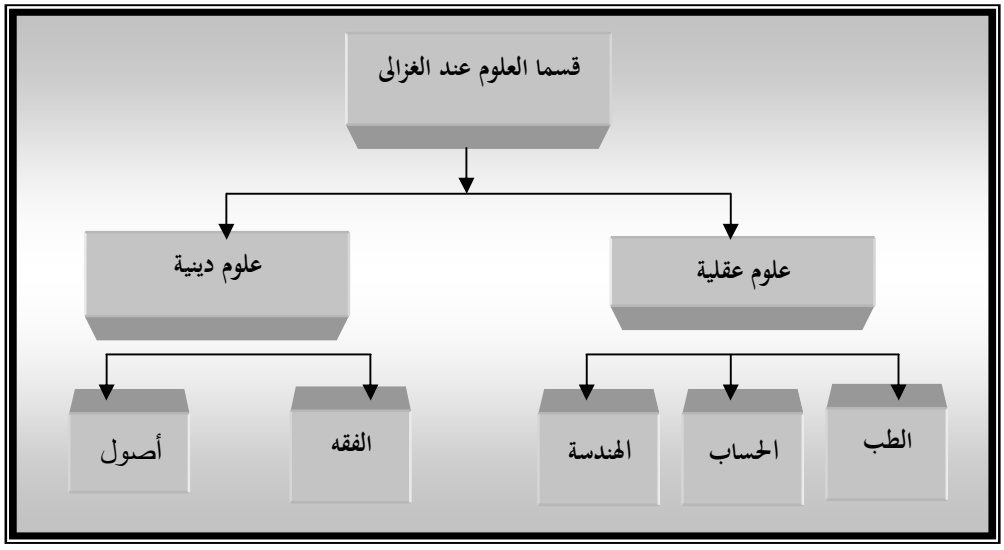
المسلمين تتعلّق بمسؤولية ورسالة، وليست بمنفعة خاصة واستغلال وهيمنة، كما هي عند الآخر، إذ إنّ التحديث في فكر هذا الآخر حرب وعدوان، وفي الفكرة الإسلامية رسالة.

إنّ العلم الدنيوي، وإن كان من الفروض الكفائية – التي إذا قام بها البعض يسقط عن الباقين –إلاّ أنه يغد و من الفروض العينية على المتخصّصين في فروعه، بمعنى أنّ المهندس مثلاً – وكذا بقية المتخصصين – ينبغي عليه أن يجتهد في تخصّصه، واضعاً نصب عينيه رسالته في الحياة، وهي رسالة تنبثق من صميم الدين وروحه، لا من أهوائه، وما ذلك إلا لأنّ من مقاصد الشريعة "**إخراج المكلف من داعية هواه** "، أمّا أن يتحوّل الطبيب أو المهندس إلى دعاة وفقهاء، كردّة فعل على تصنيفات المتأخرين للعلوم، وجعل العلوم النقلية أعظمها، فإنّ في ذلك من قصور الفهم والخطورة على مستقبل الأمة ما لا يخفى.

والآن نتساءل كيف صنّف علماء المسلمين العلوم؟

يعتبر الإمام **الغزالي** رائداً في هذا المجال، وصاحب الأثر الأكبر في تشكيل عقول اللاحقين، حيث تحدّث بإسهاب عن العلم وتصنيفه في كتابه " **إحياء علوم الدين**" وكذا في كتابه " **المستصفي من علم الأصول** "، وتتلّخص رؤية **الغزالي** في الآتي :

١) العلوم عقلية ودينية، العلوم العقلية كالطب والحساب والهندسة. والعلوم الدينية كعلم الفقه وأصول الفقه.



٢) كلّ واحد من تلك العلوم ينقسم إلى كلّي وجزئي، فالبنسبة للعلوم الدينية فقد اعتبر أنّ العلم الكلّي فيها هو علم الكلام، وأنّ باقي العلوم هي علوم جزئية.
٣) وقسّم الغزالى العلوم غير الشرعية، إلي علوم محمودة ومذمومة ومباحة.
٤) ثم قسّم العلوم إلى فرض عين وفرض كفاية.
٥) العلوم الشرعية، المحمودة هي الأصول والفروع والمقدمات والمتّمات، وتعلّمها فرض كفائي.
٦) أما فرض العين فقد حصره في علوم الآخرة.

إنّ هذا التصنيف، هو المسؤول الآن عن كل هذا التخلُّف، الذي تحياه الأمة في كافة مناحي حياتها. فمن المفيد –إذن –التعقيب على هذه الرؤية، حتّى نساهم في إعادة تشكيل العقل المسلم، وذلك فيما يلي: **(عطية ١٩٨٧م، العلوانى: ١٩٨٨/٧م)**.

١- طلب العلم فريضة على المسلم، وهذا الطلب واجب من المهد إلى اللحد.
٢- لا يوجد بعد ذلك علم مذموم في ذاته، لأنّ العلم إذا كان نوعاً من النور، فيجب أن يكون ممدوحاً ، وإنّما ينصرف الذّم إلى الآثار السيئة، التي تترتّب على العلم. والإسلام في هذا منع الناس من تعلّم العلوم، التي لا تنفع البشرية، بمعنى أنّ المعيار في ذلك، هو ما يترتّب عليها من نفع وضرر، أو أنّ ضررها أكبر من نفعها، ومن قبيل ذلك السحر وغيره.
٣- ومن هذا المنطلق فإنّ تصنيف العلوم إلى شرعية وعقلية، أو شرعية وغير شرعية غريبة عن الإسلام ؛ إذ إنّ ذلك يتنافى مع الشمول، ولا ينفي هذا أن نفرَّق بين العلوم النقلية، التي تعتمد في مصدرها على الوحي والنقل، وبين العلوم التي تعتمد على العقل والتجربة، فهذا تصنيف يرجع إلى مصدر العلم، ولا يرجع إلى طبيعة العلم نفسه.وحتى في هذا المجال، فالتفريق على أساس مصدر العلم موقع في الإشكال؛ إذ إننا لنجد أن المساحة التي غطتها النصوص من الكتاب والسُّنة، لا تستوعب كامل مساحة النشاط الإنساني بجزئياته، وإن تناولت الأطر العامة لذلك، ولهذا ترك للاجتهاد مجال واسع، فلا يمكن أن نقول إنّ هذه العلوم الدينية مصدرها الوحيد الوحي. كما أنّا نرى في جانب العلوم التي يعّبر عنها بالعلوم الدنيوية، ضوابط شرعية كذلك مصدرها الوحي، ولذلك لا يكون معيار التفرقة على أساس

مصدر العلم، كافياً للتفرقة بين أنواع هذه العلوم. و**الغزالي** نفسه يقبل هذه الفكرة، إذ يقول عن العلم الدنيوي "ولعمري إنّه متعلّق أيضاً بالدين، ولكن لا بنفسه بل بواسطة الدنيا،فإن الدنيا مزرعة الآخرة، ولا يتّم الدين إلا بالدنيا، والملك والدين توأمان" **(الغزالى)**

٤- تشّعب العلوم في عصرنا الحاضر، يدعونا إلى إعادة النظر في هذا التصنيف، إذ نرى في العصر الحاضر، أنّ التصنيفات المعاصرة للعلوم تنقسم إلى علوم بحتة، وعلوم تطبيقية، وعلوم إنسانية، وعلوم اجتماعية، هذه التقسيمات تعتمد معايير أخرى ليس من المفيد استبعادها.

٥- إنّ عزل مجموعة من العلوم، بحجة أنّ للمعارف الدينية الخاصّة فضيلة أكبر ليس صحيحاً ؛ لأنّ كلّ علم يمكن أن يكون مفيداً للحفاظ على كيان المجتمع، وبذلك يصبح تعلُّمه واجباً كفائياً ، وتكون له فضيلة من هذه الناحية، والآية الكريمة تقول:﴿ لِيَنفِرُواْ كَآفَّةً ۚ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴾ **(التوبة: ١٢٢)**

٦- إنّ التصور الإسلامي يربط الدنيا بالآخرة، ويحثّ على استثمار خيرات الكون لتعين الإنسان المستخلف على تحقيق عبوديته لله. وإنّ مفهوم العبادة فيه يتّسع ليشمل الحياة كلّها.

أسئلة تقويم ذاتي

١..وضّح رؤية الغزالي في تصنيف العلوم.

٢. كيف ردّ عليه بعض علماء المسلمين؟

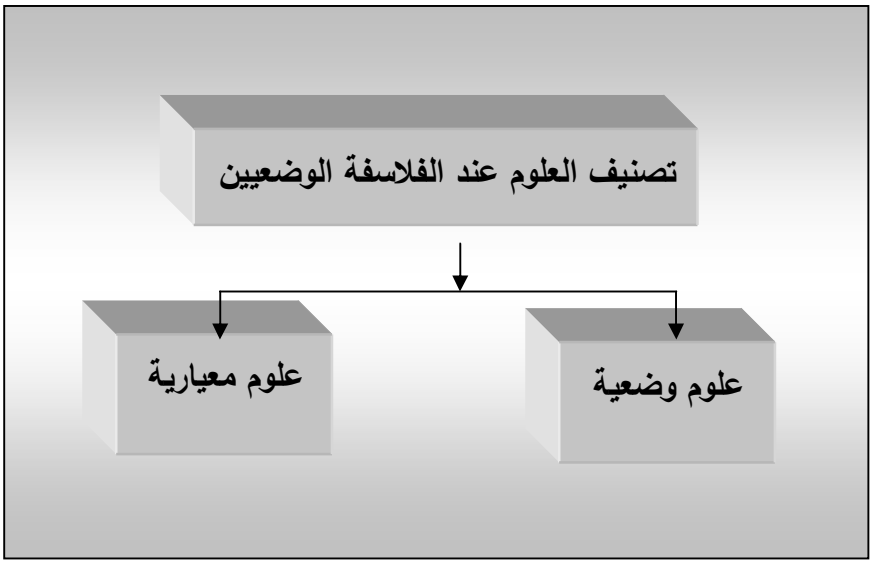
٣. إلى كم قسم تصّف العلوم المعاصرة ؟

٢.٢ تصنيف العلوم عند الغربيين

كان من نتائج انتصار العلماء على الكنيسة، وبروز فلسفة التنوير، أن تّم اعتماد العقل والحس مصدرين معرفيين، ثم تغلّب المنهج التجريبي على المعرفة، فتوزع العلم إلى علوم تطبيقية وبحتة وعلوم إنسانية واجتماعية، وحتّى هذه العلوم الاجتماعية والإنسانية، تّم إدخال المنهج التجريبي عليها، وقد استقّر تصنيف العلوم على يد الفلاسفة الوضعيين على تصنيفين هما :

- العلوم الموضوعية.
- والعلوم المعيارية أو "التكليفية".

فالعلوم الموضوعية هي العلوم المنضبطة، التي يتوصّل إلى الحقائق فيها بالبحث والتجربة، وتعرف علاقات السببية التي تربط بين الأمور بعضها بعضا، بينما العلوم المعيارية هي العلوم التي توضّح السلوك الاجتماعي،أو السلوك الفردي الذي يسير عليه الناس، بمعنى أنّ العلوم الموضوعية تدرس ما هو كائن بالفعل، بينما تدرس العلوم المعيارية ما ينبغي أن يكون.



أسئلة التقويم الذاتى

أكمل العبارات الآتية بملء الفراغ:

١. ببروز فلسفة ..... تّم اعتماد العقل والحس مصدرين معرفيين.

٢. استقّر تصنيف العلوم عند الغربيين إلى:

١).....

٢).....

٣.العلوم الموضوعية يـُ توصّل فيها إلى حقائق بـ.....و.....

٤. تدرس العلوم.... ماهو كائن بالفعل، بينما تدرس العلوم..... ما ينبغى أنّ يكون.

٣. المداخل الإسلامية المتخصّصة لكّل علم

إن التصـّور المقترح مداخل لربط العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية بالعلوم الشرعية –من أجل إعادة بناء المعرفة وفق أسس توحيدية، ترى في الوحي الإلهي مصدراً دائماً، وأساساً لفلسفات المعارف وأهدافها وغاياتها، لتوجيه نتائج المعارف والعلوم وفق الإرادة الإلهية – يمكن إجماله في النقاط الآتية (**عطية ١٩٩٩م**).

١) تحديد مقاصد العلم المعني.

٢) تحديد الضوابط الشرعية لهذا العلم.

٣) تحديد مفاهيم هذا العلم التي تِخدّمكّونات النظرية.

٤) تحديد السنن الإلهية المتعلّقة بموضوع هذا العلم.

٥) تحديد المنهج،أو المناهج المناسبة لهذا العلم.

٦) تحديد إنجازات العلماء المسلمين، ومكانها في تاريخ هذا العلم.

٧) النقد الإسلامي لهذا العلم والنقد الغربي، والمشاكل والتحديات التي يواجهها هذا العلم، ومدى إمكانية الإسهام في حلّها.

٨) مسح تحليلي للكتابات الإسلامية المعاصرة في هذا العلم.

وجملة القول إننا إذا أردنا تحقيق المقصد العام لـ لعلم المعني، يلزم أن يحدّالباحث المسلّمات التي ينطلق منها في بحثه،وهذه المسلّمات تُستمدّ من الجانب العقدي في الإسلام، مثل مسلّمات الحاكمية والعبودية لله، وغاية الوجود هو إعمار الأرض، وتسخير الكون لتحقيق الاستخلاف، كما يلزم تحديد السنن والقوانين الإلهية، التي تحكم مجالات ذلك العلم، واستقصاء الأحكام الشرعية المتعلّقة بمجالات ذلك العلم، "كتاب، سنّة، قياس، استقراء، الأدلة ". وهذا هو الشقّ المعياري أو القيمي، أي المتعلّق بما ينبغي أن يكون، وليس بما هو واقع.

٤. علاقة المقاصد بالعلوم

لقد كان لإهمال المقاصد، وعدم اعتبارها محدّدات منهاجية في العلوم، آثاره على الواقع الإسلامي، وتتلّخص هذه الآثار في(العلوانى):

- اضطراب رؤية المسلم لإرادته ولقيمة فعله، ومصدر تقويم ذلك الفعل.
- فتح باب الارتخاء والكسل، من خلال التأكيد على المنحى التعبدي لأحكام الشرع، وعدم فائدة البحث عن حِكَم وعلل وأسرار من ورائها.
- تكريس النظر الجزئي الذي لا يستنبط قاعدة، ولا يصوغ قانوناً فيحكم على الشريعة بالجمود، وإظهار الشرع الإسلامي بمظهر القانون المَّيت.

ولتوضيح علاقة المقاصد بالعلوم فإننا نوجز الحديث في النقاط التالية :

١- إذا كنا بصدد التوصل إلى تحديد المقاصد الشرعية للعلوم الحديثة، وعلى وجه الخصوص العلوم الإنسانية، والاجتماعية، فإننا ينبغي أن نأخذ بالاعتبار،أنّ هذه العلوم إلى جانب الأحكام الشرعية الخاصّة بكلّ منها، والتي هي بمثابة الضوابط الشرعية المعيارية للعلم، تحتوي على مجموعة من القوانين والسنن التي تحكم الظواهر، والسنن إنّما هي بيان للطبيعة الإنسانية والاجتماعية، وبيان العلاقة السببية بين الظواهر محل الدراسة، ومن ثّم يكون من اللازم أن نستخدم المناهج المناسبة، للتعّرف على المقصد الشرعي للعلم بشقيه المعياري "ما ينبغي أن يكون"، والموضوعي "ما هو كائن".

ولعلّ هذا المزج بين الشقين المعياري والموضوعي، يذكّرنا بتعريف الشاطبي لمقصد الشريعة، بأنه **إخراج المكلَّف عن داعية هواه ليكون عبداً لله اختياراً، كما هو عبد الله اضطراراً** ". أي أنّ مقصد الشريعة هو إيجاد الانسجام بين سلوك الإنسان وتصرفاته الاختيارية المحكومة بالضوابط المعيارية وبين السنن والقوانين النفسية التي تحكم هذا الكون **(عطية ١٩٩٩م).**

٢- إذا كان تعريف مقاصد الشريعة، بأنها عبارة عن " **المعاني والحِكَم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع، أو معظمها، بحيث لا تختصّ ملاحظتها بالكون في نوعٍ خاص من أحكام الشريعة**" **(ابن عاشور).**

فإنّ ها هنا قضيتين :

فأما القضية الأولى :فتفترض أنّ ثمة أهدافاً وحكماً وأسراراً كامنة بين جنبات نصوص الوحي، ويحتاج المجتهدون إلى استجلاء هذه الأهداف والحِكَم وضبطها، وصولاً إلى تحديد وضبط السُّبل، والطرائق المساعدة على تمثُّل تلك الأهداف، وتحقيقها في الواقع.

وأما القضية الثانية : فإنها تفترض أن التعرُّف على الأهداف والغايات ليس هو نهاية المطاف، وإنما يجب أن يتلو ذلك التعرُّف على مدى إنجاز وتحقُّق تلك الأهداف والغايات، في واقع الفرد والجماعة المستهدفة بها، وذلك اعتباراً أنّ المقصد الأعلى النهائي لجميع تشريعات الشارع، هو تحقيق مصالح العباد.

ولقد تمحورت دراسات المقاصد لدى العلماء السابقين، حول الحديث عن الجهات والطرق التي توصلنا إلى معرفة حقائق المقاصد وغايتها وأسرارها، سواء أكان ذلك بالاستقراء أو القياس أو خلافه، ولم تهتّم تلك الدراسات بالحديث عن إنجاز وتحقُّق تلك الأهداف والحكم والأسرار المرادة لله في واقع الأرض**(سانو).**

ولتحقيق هذا الهدف فإنّ من الضرورة بمكان، الاستفادة من مناهج البحث في الإنسانيات والاجتماعيات، في التحقُّق من إنجاز مقاصد الشريعة، إذ لا يسع الفكر الإسلامي أنّ يتجاهل العلوم الاجتماعية،كما لا يمكنه أن يقلّد هذه العلوم تقليداً أعمى، كما ينبغي أن لا يفوتنا أنّ هذه العلوم ليست خالية من الفائدة تماماً، فكثير ممّا وصلت إليه هذه العلوم في دراستها للظواهر الاجتماعية، ورصد هذه المعلومات عنها وتحليل السلوك

الإنساني على أساس هذه المعلومات، قد يكون مفيداً لنا من ناحية كون هذا السلوك الإنساني، مطابقاً أو غير مطابق للضوابط التي نؤمن بها، فالمعلوم أنّ الدين الإسلامي يعنى أساساً بإيجاد التوافق بين إرادة الإنسان وحكم الله،والإنسان لا يمكنه أن يحقّق الفلاح في العاجلة، والسعادة في الآجلة إلاّ بنسبة هذا التوافق، وما لا يخفى فإنّ الإنسان مع ادعائه بالإيمان، وإقراره بالالتزام بشرع الله، كثيراً ما ينحرف عن الصراط السوي، ويضلّ في متاهات المصالح العاجلة التي توسع الفجوة بين إرادته ومرضاة الله، فمعرفة الدوافع التي توجه سلوك الإنسان، والنزعات التي تقود الإنسان إلى جهات مختلفة، ينبغي أن تشكّل مجالاً رئيسياً للدراسة الإسلامية، فالحاجة ماسّة إلى استعراض كلّ ما يتوفّر لدى السلوك الإنساني، ولو كان هذا التفسير جزئياً وناقصاً .

وهذه أوجه استفادة الفكر المقاصدي من المناهج الحديثة.

٣- إن العلوم الحديثة، لا سيما الإنسانية والاجتماعية، تحتاج إلى المقاصد من عدّة أوجه نوضّحها على النحو التالي (**سانو**).

أسئلة تقويم ذاتي



١) أجب عن الأسئلة التالية:

١. ما معنى قول الشاطبى: (إخراج المكلف عن داعية هواه ليكون عبداً لله باختياره، كما هو عبد الله اضطراراً؟

٢. فيم تمحورت دراسات المقاصد لدى العلماء قديماً؟

٣. اذكر أوجه استفادة الفكر المقاصدى من المناهج الحديثة.

٢) أجب بنعم أو لا عن العبارات الآتية:

١.الله تعالى هو المبدأ والغاية لكلّ موجود.

٢.عالم الشاهدة يدرك بالحواس.

٣.السنن والنواميس التي تسّير الكون يتساوى فيها الناس.

٤.الإيمان بالله يحدّد مصير الجماعة.

٥.عبادة الله ليست الغاية التي خلق الإنسان من أجلها

١) الوقوف على مراتب المقاصد الشرعيَّة ودرجاتها

ثّمة مراتب ودرجات للمقاصد الشرعيَّة، فهناك مقاصد كليَّة تواترت الشَّرائع السماويَّة على الدعوة إلى الحفاظ عليها، بوصفها مقاصد صالحةً لكل زمان ومكان ولِكلّ إنسان، ولا تختصّ بها شريعة دون أخرى،وتتمثَّل هذه المقاصد في حفظ النفس والدين والنسل والعرض والعقل والمال، وهنالك مقاصد عامَّة منّبثة في ثنايا شريعة من الشَّرائع وتختصّ بها بعض الشرائع دون بعض، وثمَّة مقاصد أصليَّة تكفَّل الشّارع الحكيم بتحديدها ابتداءًوالتنصيص عليها بغضّ النظر من أن يكون للمكلَّف حظٌّ ظاهرٌ فيها، وهنالك مقاصد قطعيَّة لا يشكّفي كونها مقاصد مرادةً للشارع الحكيم.

إن استيعاب دارسي المعارف الإنسانيَّة، لهذه المراتب والدرجات المختلفة للمقاصد الشرعيَّة، من شأنه أن يعينه ذلك على الاستفادة منها، في توجيه غايات وأهداف دراسته للظواهر المختلفة، بحيث تغدو النتائج المستوحاة من الدراسة منسجمة مع مقاصد وغايات الشَّرع، وغير متعارضة معها. وفضلاً عن هذا، فإنَّ تعرُّفه على هذه المقاصد ومراتبها، كفيلٌ بأن يعينه ذلك على استحضارها، عند الِهّصياغة مشروع أو تعديل موقف اجتماعّي يتعارض مع تعاليم الشرع الحنيف، أو معالجة ظاهرة اجتماعيَّة منحرفة عن المنهج الشرِعّي القويم. فاستيعاب دارس الاجتماعيَّات على أهميَّة الحفاظ على المقاصد الكليَّة،المتمثلة في حفظ النفس والدين والنسل والعقل والمال، من شأنه أن يعينه ذلك على البحث عن السُّبل والطرائق، الكفيلة با لحفاظ على هذه المقاصد، كما أنَّ ذلك كفيلٌ أيضًا بأن يدفع بهم إلى الابتعاد، عن التفكير في استبدال هذه المقاصد بغيرها من المقاصد الآنيَّة البشريَّة، ممّا يجعلهم حريصين في أعمالهم على البحث، عن الوسائل المعينة على الحفاظ على هذه المقاصد، وصيانتها بعد وجودها من الانقراض.

أسئلة تقويم ذاتي



أجب بنعم أو لا عن العبارات الآتية:

١. على أى شئ تواترت الشرائع الإسلامية.؟

٢. فيم تتمثّل المقاصد الكلية.؟

٣. ما المقاصد التى تكفّل الشارع بتحديدها ابتداءً؟

٤. فيم يعين استيعاب دارس المعارف الإنسانية بمراتب المقاصد الشرعية؟

٢) مسايرة المقاصد والالتزام بها عند استخدام المناهج

إنَّ استفادة دراسي المعارف الإنسانيَّة من الفكر المقاصديّ لا تتوقف عند مستوى استحضار مراتب المقاصد، والصدور عنها عند التخطيط، ولكنَّها تتجاوز إلى الالتزام بمقتضيات هذه المقاصد، عند صياغة فرضيَّات البحث التي تتشكَّل منها المناهج، بحيث يتم استبعاد كلّ فرضيَّة تعارض أو تتعارض مع مبادئ الشرع وغاياته الأساسيَّة، فتغدو الفرضيَّات البحثيَّة منسجمة مع مقاصد الشرع وأهدافه العامَّة، هذا من جهةٍ. ومن جهةٍ أخرى، فإنَّ هذه المعرفة ستكون عونًا له، على الابتعاد عن توظيف هذه المناهج، والأدوات البحثيَّة فيما يتعارض مع مقاصد الشرع وتعاليمه الخالدة، وذلك انطلاقًا من أنَّ هذه المناهج في حقيقتها، وسائل قابلة لأن تستخدم في الخير وفي الشرِّ معاً، وبالتالي، فإنَّه حريٌّ بمستخدميها استحضار القاعدة الشرعيَّة، التي تحكم الوسائل في المنظور الإسلاميّ والتي تتمثَّل في ضرورة مشروعيَّة الغاية، التي تستخدم من أجل الوصول إليها، فالأمور في النظرة الإسلاميَّة بمقاصدها، فإذا لم تكن الغاية مشروعةً أو حميدةً ، فإنَّه ينبغي الابتعاد من استخدام هذه الوسائل من أجل الوصول إليها.

وتوضيحًا لهذا، نرى أن نمثّل له بتوظيف منهج المسح الاجتماعيّ في مجتمعٍ من المجتمعات، قصد التعرُّف على مواقف الناس من تحريم الخمر والشذوذ، بحيث يستفاد من محصَّلة الدراسة الانتهاء إلى القول بتحليل الخمر والشذوذ وتعاطيهما في المجتمعات، وذلك انطلاقًا من تقبُّل شريحةٍ من المجتمع لهذه الممارسات البغيضة.

فإذا كانت الـ غاية من استخدام أداة المسح الاجتماعيّفي هذا الشأن، تقرير الأمر المذكور، فإنّه يحرم استخدامه، ولا يجوز استعماله بتاتاً في النظر الإسلاميّوذلك لأنَّ الغاية من استخدامه تتمثّل في مخالفة تعاليم الشَّرع، وتوجيهاته الصريحة في هذا الشأن، وما أدَّى إلى الحرام في المنظور الإسلاميّفإنّه يعتبر في حدّاته حراماً.

وعليه،فإنَّ الفكر المقاصديَّ بمسالكه ومراتبه وموضوعاته، كفيل بأن يزوّد الباحثين في الدراسات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة المعاصرة، بالمزيد من الأفكار والمعلومات العامة عن روح الشريعة وغاياتها وأهدافها، مما سيعصمهم من إساءة استخدام المناهج، فيما فيه مخالفة لأوامر الله ونواهيه جلَّ جلاله، كما أنَّ ذلك سيعينهم على تجّنب توظيف نتائج دراساتهم المتحصَّلة، من استخدام المناهج البحثيَّة المختلفة فيما يعود عليهم وعلى المجتمع الإنسانيّبالثبور والبوار.

وأيّاً ما كان الأمر، فإنَّ ثمة أوجهاً لاستفادة مناهج البحث من الفكر المقاصديّ ولكنَّ المقام لا يتسع لسردها، ولعلَّ ما لخَّصناه يشكّل أهّم القضايا والمجالات، لتحقيق الربط المنشود بين الفكر المقاصديّومناهج البحث الحديثة.

أسئلة التقويم الذاتي



ضّع علامة (√) أمام العبارة الصحيحة، وعلامة (X) أمام العبارة الخطأ:

١.دراسةالفكر المقاصدى تعنى استحضار مراتب المقاصد وحسب ( ).

٢.معرفة المقاصد تعين على الابتعاد عّما يتعارض مع مقاصد الشرع وتعاليمه.( )

٣.أداة المسح الاجتماعى ولو أدت إلى حرام فهى مباحة..( )

نشاط



ارجع إلى المكتبة، واكتب مقالا عن المسح الاجتماعي، حسبانه أسلوباً من أساليب البحث العلمي.

٢) البحث في مقاصد العلوم من الناحية الشرعية يستدعي بالضرورة أن تربط بالمقاصد العامة للشريعة، والتي لا يختلف العلماء – كما أسلفنا – في أنها تدور حول تحقيق مصالح الناس، وأنّ مقصود الشرع في الجملة تحقيق خمسة أمور هي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال. وأنّ كل ما يتضمّن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوّت هذه المصلحة فهو مفسدة ودفعه مصلحة. والبحث في المقاصد الشَّرعية لكلّ علم من العلوم، في ضوء هذه المقاصد العامة، مع ربطها بما يؤدّي في النهاية إلى تصوّر كلّي شامل لفكرة المقاصد الشرعية إجمالاً، هو حجر الزاوية في فلسفة هذا العلم.وبإنجاز هذه الفلسفة بكافة مباحثها، تتّضح المعالم الرئيسية للعلوم الإسلامية الشرعية والإنسانية والكونية بكافة فروعها، وتتميّز بذلك عن نظيراتها من العلوم القائمة على فلسفة غربية مادية(**عطية١٩٩٩ م**).

٣) هناك منطقة مشتركة بين الشريعة والعلوم تضيق وتتسع بحسب أنواع العلوم ولكن على الرَّغم من ذلك فإنّ الحد الأدنى الذي يمكن أن تصل إليه هذه المنطقة المشتركة – منطقة القيم والضوابط الشرعية للعلوم، هو ما يمكن أن نعبَّر عنه بأخلاقيات العلم، وهذا يجب أن يكون موجوداً، حتّى في علم الطبيعة والكيمياء والفلك، وغيرها من العلوم التي لا يتصوّر فيها أن تكون المنطقة المشتركة بينها وبين الشريعة منطقة كبيرة، ولكّنها على الأقل، يجب أن تشمل هذه المنطقة ما يمكن تسميته بأخلاق العلم، والتي يمكن أن نوجز قواعدها في الدستور الأخلاقي العام للعلوم فى ابتغاء الحقّ والتزامه، وعدم اتّباع الظن، وعدم الإعراض عن دلائل الحقّ.. إلخ (**عطية١٩٨٧م**).

٤) إنّ التكامل أو الربط بين المقاصد والعلوم، يستلزم إعادة بناء العلم وفق أسس توحيدية، ترى في الوحي الإلهي مصدراً للمعرفة وأهدافها وغايتها. وتؤمن بكون هذا الوحي المرجعية السامية لتوجيه العلوم وفق الإرادة الإلهية، ممّا يعني ضرورة فك الارتباط بين المعرفة الإنسانية، والفلسفات التي تنطلق منها تخلو المعرفة فيها من الأفكار المضادة للإسلام. أي أن تتّم إعادة البناء وفق التصوّر الإسلامي.

أسئلة تقويم ذاتي



أجب عن الأسئلة التالية:

١. ما الذى يستدعيه البحث فى مقاصد العلوم من الناحية الشرعية؟

٢. ما المنطقة المشتركة بين الشريعة والعلوم؟

٣. عرّف الدستور الأخلاقى للعلوم.

٤. ما الذى يستلزمه الربط بين المقاصد والعلوم؟

٧) مقاصد الشريعة مادة يمكن أن تؤسّس عليها علوم اجتماعية، لأنها تقوم على مقاصد الشارع ومقاصد المكلف، والفعل البشري كلّه مقاصد مكلفين. فالعلوم الاجتماعية الغربية، علوم مؤسّسة على مقاصد المكلفين، وهناك إشكالية تتعلّق بالقضايا المعيارية، لأن العلوم الاجتماعية ظواهر لاّ بد من معرفة عللها وأسبابها، ثم تقدّم المعالجات والسياسات الواجب اتباعها لمعالجة الظواهر السالبة، أو لتأكيد الظواهر الموجبة، أي جلب المصالح ودرء المفاسد. وهذا البُعد المعياري بُعد وصفي يعتمد على قناعات الباحث الاجتماعي، الذي له أحكام يدرس بها الظواهر، مثال لذلك التضخّم والبطالة، طالما أنّ قناعات الباحث "إطار قيمي" لا تنفكّ عنه، فإنّ الماركسي يصف سياسات تختلف عن تلك التي يصفها الرأسمالي، لأنّ البعد القيمي المعياري، يدخل باعتباره عاملاً أساسياً بما نسميه *"Normative"* – النظرية المعيارية، والأحكام في العلوم الاجتماعية تنقسم إلى أحكام وصفية، تبحث في العلل والأسباب، وأحكام معيارية قيمية تعود إلى مواقف الباحث وقناعاته وعقائده، التي يصف من خلالها ما ينبغي أن تعالج به هذه الظواهر، وما يعتبره مصلحة أو مفسدة **(بريمة ١٤٢٣هـ)**.

٨) عند دراسة مقاصد الشريعة الإسلامية، نجد أنها تؤسّس على ما يعتبره الشارع مصالح للناس، "**درء مصلحة حاصلة أو متوقّعة، أو جلب مصالح قائمة أو متوقّعة أو الترجيح بين المصالح والمفاسد**"، وبالتالي يمكن أن نؤسّس علومنا الاجتماعية الإسلامية على بعدين موضوعيين، أكّد الإمام الشاطبي أحدهما وذكر الآخر، أكّد الإمام الشاطبي على مقاصد الشارع، وذكر مقاصد المكلّف لكنه لم يؤكّد عليها. علومنا

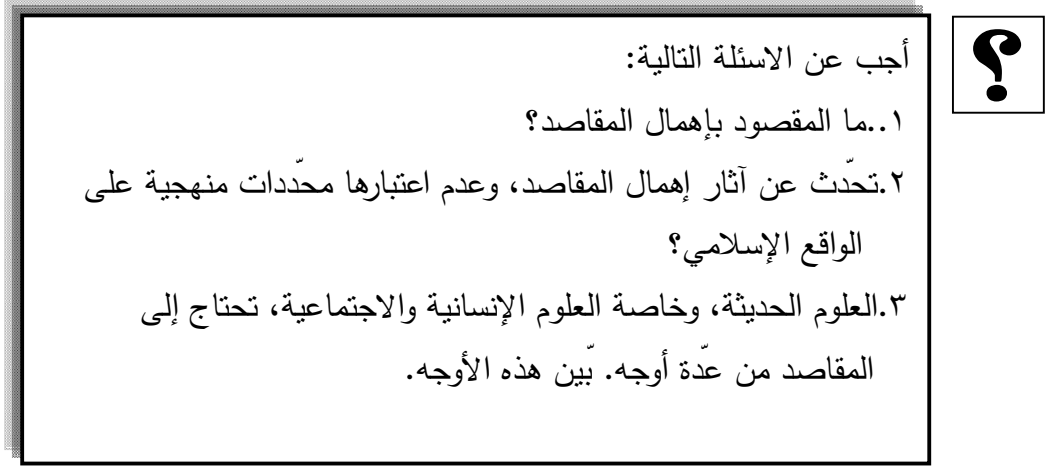
الاجتماعية يمكن أن تبنى على مقاصد المكلّفين، وتبنى على مقاصد الشارع، باعتبارها معياراً يحدّد ما هو مصلحة وما هو مفسدة، وكذلك العلم المعياري الذي اعتمد عليه في وضع السياسات، وما أرى أنه حقّ وأنه صواب – ينبني على مقاصد الشارع والعلم الوصفي، عن الظواهر وأسبابها وعللها، ومن أين جاءت ؟ وأين تتجه؟ – هو العلم المبني على الأحكام الوصفية المبنية على مقاصد المكلّفين.

٩)إذا خرجت مقاصد المكلّف عن داعية هواه، وطابقت مقاصد الشارع تطابق عندي العلمان المعياري والوصفي، وفي الغالب فإنّ مقاصد المكلّفين تفارق مقاصد الشارع لغلبة الهوى. فالعلوم الاجتماعية علوم مقاصدية ابتداءً لاّ بد لها من وسائل مناسبة يسميها الغربيون *"Rationality"* أو العقلانية.

١٠) مقاصد الشارع عندما تتحدد، هناك وسائل لتحقيقها مع الترجيح بين المقاصد والوسائل، والمقاصد المناسبة في قضايا العلوم الاجتماعية، هي في صلب قضايا المقاصد، لذلك يمكن دخول المقاصد كمحدّد أساس في بناء العلوم الاجتماعية الإسلامية، العلم الإسلامي الوصفي "مقاصد المكلّف"، والعلم الإسلامي المعياري المبني على مقاصد الشارع.ويمكن أيضاً البيان عملياً للطالب وفق اجتهادات تنظيرية – منطلقة من منظور التصور الإسلامي ومن القرآن الكريم – العلاقة التي بانت لنا بين مقاصد الشريعة الإسلامية والعلوم الاجتماعية، من خلال مقاصد الدين والنفس والعقل والنسل والمال، وهي علاقات ليست منفصلة بل علاقات جدلية متفاعلة، تؤسّس للظاهرة الاجتماعية من حيث هي، ممّا يؤكّد على الجانب التطبيقي في دراسة المقاصد، والأرضية الشرعية التي يمكن أن يؤسّس عليها.

١١) وربّ قائل يقول إنّ إدراج تلك العلوم الاجتماعية والإنسانية، تحت نظرية المقاصد، ينشأ عنه خلل منهجي، وذلك للتغاير البّين بين الظاهرة الفقهية والظاهرة الاجتماعية،فالظاهرة الاجتماعية متّسمة بالتعميم كما أنّ المطلوب فيها هو بيان القوانين والسنن والعلاقات، التي على ضوئها يمكن أن نقيم نظاماً صالحاً . كما أنّ العلوم الاجتماعية علوم وصفية والفقه علم معياري.

أسئلة التقويم الذاتي



أجب عن الاسئلة التالية:

١..ما المقصود بإهمال المقاصد؟

٢.تحدّث عن آثار إهمال المقاصد، وعدم اعتبارها محدّدات منهجية على الواقع الإسلامي؟

٣.العلوم الحديثة، وخاصة العلوم الإنسانية والاجتماعية، تحتاج إلى المقاصد من عدّة أوجه. بّين هذه الأوجه.

نقول وبالله التوفيق، صحيح أنّ للظاهرة الفقهية خصائصها، وللظاهرة الاجتماعية خصائصها، أمّا بقية الاعتراض فغير مقبول للآتي :

أولاً : لابدّ للعلم الإسلامي سواء أكان فقهاً أو علماً اجتماعياً من إطار ينضبط به، وإذا كان القانون الطبيعي هو الفلك الذي تدور فيه العلوم الغربية، فإنّ المقاصد أقلّ غموضاً، وأكثر مناسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية.

ثانياً : إذا اعتبرنا أنّ آيات الأحكام، هي التي تتضمّن نهي وأمر "أفعل ولا تفعل فإنّ اهتمام علماء المسلمين بالفقه والأحكام، لا يعني أنّ القرآن كلّه أحكام، بل إنّ هذه الآيات فيه لا تتجاوز الـ ٨% من مجموع آياته، وهذا يدلّ على أنّ هنالك في الواقع العملي مهمشاً غير مقبول لمعظم آيات القرآن " ٩٢ %"،واعتبارها آيات للتلاوة دون أن يكون لها وضع مميز في صياغة أنظمة المجتمع، وبناء مؤسساته، وتوليد ثقافة أفراده.

ثالثاً : إذا كانت ٨%من مجموع آيات القرآن تحوي أحكاماً، فإنّ الآيات الأخرى تحمل علماً وصفياً، أو هذه إنشاء وتلك خبر، كما يقول البلاغيون والمناطقة.

رابعاً: أنّ هذه الآيات الخبرية، لا يعني إفرادها هنا، أنها غير معيارية، أو تنّد عن المقاصد، فما من آية في كتاب الله إلا وهي تحمل مصلحة.

خامساً : إنّ المعاني الشَّرعية قسمان، المعاني المصلحية المقصودة من شرع الأحكام، والمعاني الدلالية المقصودة من الخطاب، وهذا يعني فيما يعني اندراج الآيات غير الحكمية في إطار المقاصد.

سادساً : إنّ تقسيم الآيات إلى آيات أحكام، وغير ذات أحكام فرضية غير مقبولة، باعتبار أنها تؤول أحكاماً لما فيها من جانب معياري، وقد فسَّر علماؤنا الأقدمون قوله تعالى:﴿ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ﴾ **(الأعراف: ٥٤)**

بأنّ الأمر هو القرآن، باعتباره مقابلاً للخلق، وذلك في معرض ردّهم على المعتزلة، في قضية خلق القرآن الشهيرة.

سابعاً : إنّ تلك العلوم الاجتماعية والإنسانية علوم معيارية، وإن ادّعى بعض أصحابها غير ذلك، قول **محمد محمد امزيان:** " من المؤسف أن هذا التقليد، لم يقتصر على المفكرين للتراث الغربي، بل انتقل إلى المنادين بالتأصيل الإسلامي للعلوم الاجتماعية، الذين تبنّوها بنفس الحماس، معتقدين أن ذلك كفيل بأن يرتفع بأساليب ومناهج التفكير الاجتماعي الإسلامي، من مستوى الوعظ إلى مستوى البحث الوصفي المحايد والمجرد، ولقد عمل كثير من هؤلاء على التأكيد أنّ علم الاجتماع الإسلامي ينبغي له، أن يخرج من طائفة البحوث التقويمية، ويتجنّب مطلقاً الحكم على قيم الأشياء، وبيان حسنها أو قيمها، وما تنطوي عليه من خير وشر".

ثامناً : لم تكن تخلو دراسات أولئك الاجتماعيين – الذين يحِذّون من التوجيهات العلمية والمعيارية منها.

تاسعاً : إذا كان العلم وصفياً، يتناول خصائص الأشياء، ويحاول إدراك مميزاتها، فليست هذه غايته ولا هدفه الذي يسعى إليه، وإنّما هدفه توظيف معطياته، وتحقيق المصالح من خلالها، ولّما كان الأمر كما ذكرنا، فإنّ ذلك يسوّغ للعلوم الاجتماعية المنبعثة من نصوص الإسلام، أن تندرج تحت المقاصد بلا مشكلات منهجية.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هو، ما هي مكونات تلك العلوم من خلال نصوص الوحي؟.

يكاد ينعقد الإجماع عند المشتغلين بمناهج البحث في العلوم الاجتماعية، على أنّ هدف العلم هو بناء النظريات، وأنّها المنتج النهائي للنشاط العلمي.

والسؤال الآن **ما هي مكونات النظرية** ؟ إنّ النظرية هي نسق من المفاهيم المترابطة، فهذه المفاهيم تكوّن القضايا، والقضايا بدورها تكوّن النظريات.

ولّما كان الأمر كذلك، فلا بدّ من انبثاق مفاهيم هذه العلوم الاجتماعية والإنسانية من القرآن.وبناء هذه المفاهيم القرآنية ودراستها، ليس بالأمر الهين، فلا بدّ من الضوابط لمعرفة دلالة المفهوم وخصائصه وأحكامه، وما يترتب عليه من خلال النص القرآني.فإذا ما تّم بناء هذه المفاهيم التأسيسية للعلوم الاجتماعية، فإنه يمكن معرفة مقاصد الجزئيات في الآيات المفردة، سواء أكانت ذات صفة حكمية، أو خبرية تعرف مقاصدها باستخلاص فوائدها، أو "بمبدأ الفائدة" كما قال **ابن عاشور**. فإذا خلصت الدراسات إلى تحديد هذه المفاهيم الاجتماعية، من خلال الربط والمقارنة ومعرفة النظم، أمكننا القيام بتفسير موضوعي، تُحدّد من خلاله المقاصد الجزئية، ثّم محاولة جمع هذه المقاصد الجزئية، واستقرائها للخروج بالمقاصد الخاصة بالعلوم الاجتماعية، ثّم إدراجها تحت المقاصد الكلية، لتدرج كلّها في الإطار العام، الذي هو مقصد "**صلاح الدنيا والآخرة**"،والقيام بحقوق الاستخلاف في الأرض والشهادة على الناس.

وخاتمة القول وصفوته، أنّ تجسير الفجوة بين المقاصد والعلوم المعاصرة، يمثّل جزءًا لا يتجزأ من مشروع التأصيل الإسلامي، الهادف إلى إسلام العلوم والمعارف الإنسانية، كما أنه يمثّل في الوقت نفسه مشروع إصلاح مناهج التفكير الإسلامي المعاصر، بحيث تغدو مناهج مواكبة وقادرة على توجيه مستجدات وقضايا الواقع المعيش وفق المراد الإلهي.

أسئلة تقويم ذاتي

ضع علامة (✓) أمام الإجابة الصحيحة وعلامة (×) أمام الإجابة الخطأ:

١. يزّود الفكر المقاصدي الباحث في الدراسات الاجتماعية المعاصرة بالأفكار والمعلومات عن روح الشريعة.

٢. أخلاقيات العلم تمتد إلى علم الطبيعة والكيمياء.

٣. مقاصد الشريعة مادة يمكن أن نؤّسس عليها علوم اجتماعية.

٤. البعد المعياري لا يعتمد على قناعات الباحث الاجتماعي.

٥. الأحكام الوصفية تبحث عن العلل والأسباب.

٦. مقاصد الشريعة الإسلامية تؤّسس، علي ما يعتبره الشارع مصالح للناس.

٧. البعد الموضوعي يتعلّق بما هو كائن.

٨. ليس مهّما استبعاد كلّ فرضية تتعارض مع مبادئ الشرع، عند صياغة فرضيات البحث الاجتماعي.

٩. موضوعات الفكر المقاصدي، تزّود الباحثين بالأفكار والمعلومات عن روح الشريعة.

١٠. هدف العلم الوصفي توظيف معطياته، وتحقيق المصالح من خلاله.

١١.ترتبط الأحكام التكليفية بمصالح الناس.

١٢.المصالح العالية صالحة لكلّ زمان ومكان.

١٣.المراجع في مجال مقاصد الشريعة نادرة.

١٤.ما من فعل أو حركة في الواقع إلا والشريعة عليه حاكمة.

١٥.المقاصد الشرعية ليست مناسبة للعلوم الاجتماعية.

عزيزي الدارس ضع دائرة أمام الإجابة الصحيحة مع تمنياتي لك بالتوفيق.

◎ **مفهوم العبادة في الإسلام**

١- يسع الحياة كلها. ٢- يقتصر على أداء الشعائرالدينية. ٣- بعتمد على وقت محدّد.

◎ **نقطة الخلاف بين ماهو إنساني وما هو غير إنساني من منظور علماني هى:**

١- اختلاف في الدرجة.٢- اختلاف في النوع.٣- اختلاف في الدرجة والنوع.

◎ **يسّمي القرآن موجودات عالم الطبيعة:**

١- عالم الشهادة. ٢- عالم الغيب. ٣- عالم البرزخ. ٤- كل ما ذكر أعلاه صحيح.

الخلاصة

- نظراً لما للشريعة من أهمية ومميزات أخلاقية ومنهجية، فإنه يمكن الاستفادة من مقاصدها في تأسيس المداخل الإسلامية للعلوم، وذلك من خلال تحديد المقاصد الشرعية الخاصة بكل علم، وكيفية وصلها بالمقاصد العامة للشريعة الإسلامية.
- مقاصد العلوم تعتبر مصالح، سواء سمّيت منفعة أو لذة أو قيمة أو إشباعاً أو غيرها، وهي ثمرة لقدرات المكلّف وإرادته. والشريعة بمقاصدها ينبغي أن تكون حاكمة على مقاصد المكلّف وأفعاله، فما من فعل أو حركة في الواقع، إلاّ والشريعة عليه حاكمة.
- لتحقيق مقاصد الشريعة، يجب تحصيل العلوم التطبيقية واستثمارها، وتحديث التقنيات والعقليات، لأنّ المسألة عند المسلمين تتعلّق بمسؤولية ورسالة، وليست بمنفعة خاصة واستغلال وهيمنة كما هي عند الآخر.
- إن عزل مجموعة من العلوم، بحجة أنّ للمعارف الدينية الخاصة فضيلة أكبر، ليس صحيحاً، لأنّ كلّ علم يمكن أن يكون مفيداً للحفاظ على كيان المجتمع، وبذلك يصبح تعلُّمه واجباً كفائياً، وتكون له فضيلة من هذه الناحية.
- ربط التصوّر الإسلامي بين الدنيا والآخرة، وحثّ على استثمار خيرات الكون، لتعين الإنسان المستخلف على تحقيق عبوديته لله، ومفهوم العبادة في الإسلام يتسع ليشمل الحياة كلّها.
- ربط العلوم الإنسانية والاجتماعية والطبيعية بالعلوم الشرعية، من شأنه إعادة بناء المعرفة وفق أسس توحيدية، ترى في الوحي الإلهي مصدراً دائماً، وأساساً لفلسفات المعارف وأهدافها وغاياتها، لتوجيه نتائج المعارف والعلوم وفق المقاصد الإلهية.
- إنَّ الفكر المقاصديَّ بمسالكه ومراتبه وموضوعاته، كفيل بأن يزوِّد الباحثين في الدراسات الاجتماعيَّة والإنسانيَّة المعاصرة، بالمزيد من الأفكار والمعلومات العامة عن روح الشريعة وغاياتها وأهدافها، ممّا سيعصمهم من إساءة استخدام المناهج، فيما فيه مخالفة لأوامر الله ونواهيه.

- البحث في مقاصد العلوم من الناحية الشرعية، يستدعي بالضرورة أن تربط بالمقاصد العامة للشريعة، والتي لا يختلف العلماء – كما أسلفنا – في أنها تدور حول تحقيق مصالح الناس.
- البحث في المقاصد الشرعية لكل علم من العلوم، في ضوء هذه المقاصد العامة، يؤدّي في النهاية إلى تصوّر كلّي شامل لفكرة المقاصد الشرعية إجمالاً .
- لابّد للعلم الإسلامي سواء أكان فقهاً أو علماً اجتماعياً، من إطار ينضبط به، وإذا كان القانون الطبيعي هو الفلك الذي تدور فيه العلوم الغربية، فإن المقاصد أقلّ غموضاً، وأكثر مناسبة للعلوم الاجتماعية والإنسانية.
- إذا كان العلم وصفياً يتناول خصائص الأشياء، ويحاول إدراك مميزاتها، فليست هذه غايته ولا هدفه الذي يسعى إليه، وإّنما هدفه توظيف معطياته، وتحقّق المصالح من خلالها، ولّما كان الأمر كما ذكرنا، فإن ذلك يسّوغ للعلوم الاجتماعية المنبعثة من نصوص الإسلام،أن تندرج تحت المقاصد بلا مشكلات منهجية.

إجابة التدريبات

تدريب (١)

٣ و٢

تدريب (٢)

نعم إذا كانت النية من العمل موجهة لله سبحانه وتعالى، مثل السعي وراء الرزق الحلال ابتغاء لمرضاة الله..

تدريب (٣)

- القوة الإيمانية.
- القوة العسكرية.
- القوة السياسية.
- القوة الاقتصادية.
- القوة العلمية.
- القوة التقنية.

تدريب (٤)

على المتخصّص أن يجتهد في تخصّصه محتسبا أجره عند الله تعالى. الطبيب مع مرضاه، والمدرس مع تلاميذه، والمزارع في حقله.

مسرد المصطلحات

العقيدة:

تصنع التصوّر، وتجيب عن التساؤلات النهائية المتعلقة بالله والإنسان والكون، والتفاعلات الناشئة عن العلاقة بين الله والإنسان والكون.

الشريعة الإسلامية:

تتبع العقيدة، وتسبغ على الحياة فلسفتها الهادفة إلى تحقيق مصالح العباد في المعاش والمعاد.

عالم الشهادة:

موجودات يدركها الإنسان بحواسّه.

عالم الغيب:

موجودات لا يستطيع الإنسان أن يعرفها إلاّ عن طريق الوحي.

الفروض الكفائية:

هي التي إذا قام بها البعض تسقط عن الباقين.

العلوم النقلية:

هي العلوم التي تعتمد في مصدرها على الوحي.

العلوم الموضوعية:

هي العلوم التي يتوصّل إلى الحقائق فيها بالبحث والتجربة. (تدرس ما هو كائن).

العلوم المعيارية:

هي العلوم التي توضّح السلوك الاجتماعي أو الفردي. (تدرس ما ينبغي أن يكون).

النظرية:

هي نسق من المفاهيم المترابطة، فهذه المفاهيم تكّون القضايا، والقضايا بدورها تكّون النظريات.

المصادر والمراجع

١-بريمة، محمد الحسن،

- **الظاهرة الاجتماعية ونظامها المعرفي في القرآن الكريم، مجلة تفكّر، م(١)، ع(١) معهد إسلام المعرفة، مدني، ١٩٩٩م.**
- **رؤية إسلامية مقاصدية في التنمية الإسلامية، مجلة إسلامية المعرفة،ع(٢٦)، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، أمريكا ٢٠٠١م.**

٢-ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم،

- **العبودية،** بتحقيق محمد بشير عون،ط١، دار البيان والمؤيد، دمشق ١٩٨٢م.
- **العقيدة الأصفهانية،** تحقيق إبراهيم سعيداي، ط/ ١ مكتبة الرشد، الرياض ١٤١٥هـ.
- **مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية،** ط/ مكة ١٤٠٤هـ.

٣-ابن حزم، **الإحكام في أصول الأحكام،** ط/ دار الحديث القاهرة.

٤-أبو داود، سليمان بن الأشعث، **سنن أبي داود،** تحقيق محمد يحي الدين عبد الحميد، ط/ دار الفكر.

٥- الريسوني، أحمد

- **مقاصد الشريعة،** مجلة قضايا إسلامية معاصرة، العدد التاسع والعاشر، ٢٠٠٠م
- **نظرية المقاصد عند الشاطبي،** المعهد العالمي للفكر الإسلامي.

٦- الزمخشري، جار الله محمود بن عمر، **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التنزيل،** ط/ دار الفكر، سنة ١٩٧٧م.

٧-السرخسي، محمد بن عيسى، **المبسوط،** ط/ دار المعرفة، بيروت ١٤٠٦هـ.

٨- السيوطي، **تفسير الجلالين،** ط/ ١، دار الحديث القاهرة، (بدون تاريخ) .

٩-الإمام الشافعي، محمد بن إدريس،

- **الرسالة،:** تحقيق أحمد محمد شاكر، ط/ القاهرة.
- **الأم،** ط/٢ دارالمعرفة، بيروت ١٩٩٣م.

١٠- الشوكاني، محمد بن علي،
- **نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار**، ط/ دار الجيل، بيروت ١٩٨٢م

11-العالم، حامد يوسف، **المقاصد العامة للشريعة الإسلامية**، ط/ ١ المعهد العالمي للفكر الإسلامي ١٩٩٣م، وطبعة ثانية ١٩٩٤م.

١٢- القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق أحمد عبد العليم البردوني، ط/٣، دار الكتب المصرية.

١٣-الكاساني، علاء الدين، **بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع**، ط/٢ دار الكتاب العربى، بيروت ١٩٨٣م.

١٤- ابن ماجة، محمد بن يزيد القزويني، **سنن ابن ماجة**، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار الفكر، بيروت.

١٥- المقدسي، ابن قدامة، عبد الله بن أحمد، **المغني في فقه الإمام أحمد بن حنبل**، دار الفكر، بيروت ١٤٠٥هـ.

١٦- معهد إسلام المعرفة، **ورشة تقويم مادة مقاصد الشريعة الإسلامية**، حنتوب جمادى الآخرة ١٤٢٣هـ.

رقم الإيداع : ٢٠٠٤/١٩١